

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٥ - سُورَةُ الْقِيَامَةِ

قال المهايني : سميت به لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم ، من لا يتناهى ثوابه وعقابه ،
بحيث تمحصر فيه كل نفس من تقصيرها ، وإن عملت ما عملت .
وهي مكية . وآيها أربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)

[٢] (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)

« لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » قال القاشاني : جمع بين القيامة والنفس اللوامة ، في القسم بهما ، تعظيماً لشأنهما ، وتناسباً بينهما . إذ النفس اللوامة ، هي المصدقة بها ، المقرة بوقوعها ، المهيئة لأسبابها ، لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير ، والتقاعد عن الخيرات ، وإن أحسنت ، لحرصها على الزيادة في الخير ، وأعمال البر ، تيقننا بالجزاء ، فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسيانا .
ومر الكلام على (لَا أُقْسِمُ) في مواقفه قبل هذا فتذكر . وحذف جواب القسم لدلالة قوله :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ وَ)

[٤] (بَلَىٰ أَقْدِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ وَ)

« أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ وَ » عليه ، وهو لتبعين . قال القاشاني : المراد بالقيامة ، ههنا ، الصغرى ، لهذه الدلالة بعينها .

« بَلَىٰ أَقْدِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ وَ » أى بلى ! نجمع عظامه ، قادرين تسوية بنانه التي هي أطراف خلقته وتماهما ، على صغرها ولطافتها ، وضم بعضها إلى بعض ، فكيف بكبار العظام ؟ !

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ)

« بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ » أى ليدوم على الفجور، فيما يستقبله من الزمان، ولا يثنيه عنه شيء ، ولا يتوب منه أبداً .

قال الشهاب : (أَمَامَهُ) ظرف مكان ، استعير هنا للزمان المستقبل ، فيفيد الاستمرار . والضمير للإنسان ، أو ليوم القيامة . وقيل الدوام والاستمرار ، لأنه خبر عن حال الفاجر ، بأنه يريد ليفجر في المستقبل . على أن إرادته وحسابه هما عين الفجور . وفي إعادة المظهر مالا يخفى من التهديد ونمى قبيح ما ارتكبه ، وأن الإنسانية تأباه . وقيل : حمله على الاستمرار ليصح الإضراب ، ويصير المعنى : بل يريد الإنسان أن يستمر على فجوره ، ولا يتوب ، فلذا أنكر البعث .

وقال القاشاني : أى ليدوم على الفجور بالميل إلى اللذات البدنية ، والشهوات البهيمية ، غارزا رأسه فيها ، فيما بين يديه من الزمان الحاضر والمستقبل ، فيغفل عن القيامة لقصور نظره عنها ، وكونه مقصوراً على اللذات العاجلة ، وفرط تهالكه عليها ، واحتجابه بها عن الآجلة ، سائلاً عنها ، متمتعاً مستبعداً إياها ، كما قال سبحانه :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)

[٧] (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ)

[٨] (وَخَسَفَ الْقَمَرُ)

[٩] (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

[١٠] (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ)

[١١] (كَلَّا لَا وَزَرَ)

[١٢] (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)

[١٣] (يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)

« يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ » أى متى يكون ؟ استبعاداً وهزواً . والجملة استئناف أو حال أو تفسير لقوله (يفجر) ، أو بدل منه والاستئناف بياني ، كأنه قيل : لم يريد الدوام على الفجور ؟ قيل : لأنه أنكر البعث واستهزأ به « فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ » أى تحير ودهش . أى لما أتى من أمر الله . قال مجاهد : أى عند الموت . « وَخَسَفَ الْقَمَرُ » أى ذهب ضوؤه « وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » أى جمع بينهما فى ذهاب الضوء ، فلا ضوء لواحد منهما . وقيل : إنها يجعلان ثم يكوران ، كما قال جل ثناؤه ^(١) (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال ابن زيد : جمعا فرمى بهما فى الأرض . « يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ » أى الفرار . أى يطلب مهرباً ومحيصاً لدهشته ، أو يقوله قول الآيس لعلمه بأنه لا قرار حينئذ . « كَلَّا » ردع له عن طلب الفر ، « لَا وَزَرَ » أى لا ملجأ . « إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ » أى مستقر العباد ، من نار أو جنة . أى مفوض إليه لا إلى غيره مستقرهم ، أو استقرار أمرهم ، والحكم فيهم « يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ » أى من عمله الذى يوجب نجاته وثوابه ، من الخيرات والصالحات ، « وَأَخَّرَ » أى منه ففرط وقصر فيه ولم يعمل .

قال الشهاب : (مَا قَدَّمَ) كناية عما عمل ، و (مَا أَخَّرَ) ما تركه ولم يعمل . وهو مجاز مشهور فيما ذكر . أو ما قدمه ، ما عمله ، وما أخره ، عمل من اقتدى به بعده عملاً له ، كأنه وقع منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٤] (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)

[١٥] (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ)

« بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ » قال القاشاني : أى حجة بينة ، يشهد بعمله ، لبقاء هيئات أعماله المكتوبة عليه في نفسه ، ورسوخها في ذاته ، وصيرورة صفاته صوراً أعضائه ، فلا حاجة إلى أن ينبأ من خارج .

قال الشهاب : (بَصِيرَةٌ) مجاز عن الحجة الظاهرة . أو (بَصِيرَةٌ) بمعنى بينة ، وهى صفة لحجة مقدره . وجعل الحجة بصيرة لأن صاحبها يبصر بها ، فلا إسناد مجازى . أو هى بمعنى دالة مجازاً . أو هو استعمارة مكنية وتخيلية . و (الْإِنْسَانُ) مبتدأ ، و (بَصِيرَةٌ) خبره ، و (عَلَى) متعلق به . والتأنيث للمبالغة ، أو لكونه صفة (حجة) .

« وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ » أى ولو ألقى أعذاره مجادلاً عن نفسه بكل معذرة . وفيه إشارة إلى أن ما عليه المشركون من الشرك وعبادة الأوثان ، وإنكار البعث ، منكر باطل ، تفكره قلوبهم ، وأنهم في دفاعهم يجادلون بالباطل . ولا غرو أن ينكر القلب ما تدفعه انقطة السليمة ، والدين دين الفطرة .

قال الشهاب : شبه المجيء بالعدر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به ، فيكون فيه تشبيه لذلك بالماء المروى للعطش .

وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٦] (لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)

[١٧] (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)

[١٨] (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و)

[١٩] (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ و)

« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ » أى لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي ، لتأخذه على عجلة ، مخافة أن يفوت منك . « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ و » أى فى صدرك ، وإثبات حفظه فى قلبك ، بحيث لا يذهب عليك منه شىء . « وَقُرْآنَهُ و » أى أن تقرأه بعد فلا تنسى « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ » أى أتمعنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام ، « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و » أى كن مقفياً له ولا ترأسه . « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ و » أى بيان ما فيه ، إذا أشكل عليك شىء من معانيه ، أو أن نبينه على لسانك .

تنبيهات :

الأول - ما ذكرناه فى تأويل الآية هو المأثور فى الصحيحين وغيرها . ولفظ البخارى^(١)

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يحرك شفطيه إذا أنزل عليه ، ف قيل له (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) يخشى أن يفوت منه (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ و) أن يجمعه فى صدرك (وَقُرْآنَهُ و) أن تقرأه (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) يقول أنزل عليه (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ و) أن نبينه على لسانك . زاد فى رواية : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك ، إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل ، قرأه النبي ﷺ كما قرأه .

قال ابن زيد : أى لا تسلك بالذى أوحينا إليك ، حتى يقضى إليك وحيه ، فإذا قضينا إليك وحيه ، فتكلم به . يعنى : أن هذه الآية نظير قوله تعالى^(٢) (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

(١) أخرجه البخارى فى : ١ - كتاب بدء الوحي ، ٤ - حدثنا موسى بن إسماعيل ،

(٢) [٢٠ / طه / ١١٤] .

حديث رقم ٥٠

قال ابن كثير : وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد؛ أن هذه الآية نزلت في ذلك، وأنها تعلم من الله عز وجل لرسوله، كيفية تلقيه الوحي.

الثاني - ذكروا في مناسبة وقوع الآية معترضة في أحوال القيامة - على تأويلهم المتقدم - وجوهاً :

منها - تأكيد التوبيخ على ما جبل عليه الإنسان - والمرء مفتون بحب العاجل - حتى جعل مخلوقاً من عجل . ومن محبة العاجل ، وإشارته على الآجل ، تقديم الدنيا الحاضرة على الآخرة، الذي هو منشأ الكفر والعناد، المؤدى إلى إنكار الحشر والمعاد. فالنهي عن العجلة في هذا يقتضي النهي فيما عداه، على آكد وجه. وهذه مناسبة تامة بين ما اعترض فيه وبينه. قاله الشهاب .

ومنها - أن عادة القرآن ، إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد ، حيث يعرض يوم القيامة ، أرفده بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً ، كما قال في الكهف ^(١) (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) إلى أن قال ^(٢) (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ) الآية . وقال في طه ^(٣) (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) إلى أن قال ^(٤) (فَتَعْلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

ومنها - أن أول السورة لما نزل إلى قوله (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ) صادف أنه ﷺ في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل، وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته، فنزلت (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) إلى قوله (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ثم عاد الكلام إلى تسكئة ما ابتدأ به .

قال الفخر الرازي : ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلاً مسألة ، فتشاغل الطالب بشيء عرض له فقال له : ألقى إليك بالك ، وتفهم ما أقول . ثم كمل المسألة . فن لا يعرف

(١) [١٨ / الكهف / ٤٩] . (٢) [١٧ / الإسراء / ٨٩] .

(٣) [٢٠ / طه / ١٠٣] . (٤) [٢٠ / طه / ١١٤] .

السبب يقول : ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة ، بخلاف من عرف ذلك - قاله الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) - .

الثالث - استدلوأ على التأويل السابق بقوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ، كما هو مذهب الجمهور لما تقتضيه (ثم) من التراخي . وأول من استدلل لذلك بهذه الآية القاضي أبو بكر بن الطيب ، وتبعوه . وهذا لا يتم إلا على تأويل البيان بتبيين المعنى ، وإلا فإذا حمل على أن المراد استمرار حفظه له ، وظهوره على لسان ، فلا . قال الآمدى : يجوز أن يراد بالبيان الإظهار ، لا بيان المجهول . يقال (بأن الكوكب إذا ظهر) قال : ويؤيد ذلك أن المراد جميع القرآن ، والمحمل إنما هو بعضه ، ولا اختصاص بالأمر المذكور دون بعض .

وقال أبو الحسين البصرى : يجوز أن يراد البيان التفصيلى ، ولا يلزم منه جواز تأخير البيان الإجمالى ، فلا يتم الاستدلال . وتعقب باحتمال إرادة المعنيين : الإظهار والتفصيل وغير ذلك ، لأن قوله (بيانه) جنس مضاف ، فيعم جميع أصنافه من إظهاره وتبيين أحكامه ، وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك - قاله الحافظ في (الفتح) - .

وجوز القفال أن تكون (ثم) للترتيب في الأخبار . أى ثم إنا نخبرك بأن علينا بيانه ، فلا تدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب . وضعفه الرازى بأنه ترك للظاهر من غير دليل .
الرابع - ما قدمناه من معنى قوله تعالى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) الخ ، وما استفيد منه ، وما قيل في مناسبته لما قبله ، كله إذا جرى على المأثور فيها . وحاول القفال معنى فقال كما نقله عنه الرازى :- إن قوله تعالى (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) ليس خطاباً مع الرسول ﷺ بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله ^(١) (يُدَبِّرُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَ يُدْمَمُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) فكان ذلك حال ما ينبأ بقبائح أفعاله ، وذلك بأن يمرض عليه كتابه فيقال له ^(٢) (أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) . فإذا أخذ في القراءة تلاجج لسانه من شدة الخوف ،

(١) [٧٥ / القيامة / ١٣] . (٢) [١٧ / الإسراء / ١٤] .

وسرعة القراءة ، فيقال له (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجَلَ بِهِ) فإنه يجب علينا بحكم الوعد ، أو بحكم الحكمة ، أن نجتمع أعمالك عليك ، وأن نقرأها عليك ، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه ، بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال . ثم إن علينا بيان أمره ، وشرح مراتب عقوبته . وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية : أن المراد منه ؛ أنه تعالى يقرأ على الكافر جميع أعماله ، على سبيل التفصيل . وفيه أشد الوعيد في الدنيا ، وأشد التهويل في الآخرة . ثم قال القفال : فهذا وجه حسن ، ليس في العقل ما يدفعه ، وإن كانت الآثار غير واردة به . انتهى .

ونقل الشهاب أن بعضهم ارتضى هذا الوجه ، وقدمه على الوجه السابق . وزعم الحافظ ابن حجر أن الحامل على هذا الوجه الأخير هو عسر بيان المناسبة بين هذه الآية وما قبلها من أحوال القيامة . أى ولما بين الأئمة المناسبة التي أقرناها عنهم ، لم يبق وجه للذهاب إلى هذا الوجه الأخير ، مع أن هذا الوجه - هو فيما يظهر - فيه غاية القوة والارتباط بما قبله وما بعده ، مما يؤثره على المأثور ، الذي قد يكون مدركه الاجتهاد ، والوقوف مع ظاهر ألفاظ الآية . ومما يؤيده ما أورد عليه أن ابن عباس لم ير النبي ﷺ في تلك الحال ، لأن الظاهر أن ذلك كان في مبدأ البعث النبوي ، ولم يكن ابن عباس وُلد حينئذ . ولا مانع - كما قال ابن حجر - أن يخبر النبي ﷺ بذلك بعد ، فيراه ابن عباس ، أو يخبر به ، فيكون من مراسيل الصحابة - والله أعلم - .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)

[٢١] (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)

[٢٢] (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ)

[٢٣] (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

[٢٤] (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ)

[٢٥] (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)

« كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » أى الدنيا العاجلة ، بإيثار شهواتها . « وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ » أى بالإعراض عن الأعمال التى تورث منازلها ، أو تنسون الآخرة ووعيدها ، وهول حسابها وجزائها . « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ » أى حسنة جميلة من النعيم « إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » أى مشاهدة إياه ، ترى جمال ذاته العلية ، ونور وجهه الكريم ، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه . « وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ » أى كالحة ، لجهامة هيأتها ، وهول ما تراه هناك من الأحوال ، وأنواع العذاب والخسران . « تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ » أى داهية تفصم فقار الظهر ، لشدتها وسوء حالها ووبالها . وشتان ما بين المرتبتين ! ويظهر أن فى عود الضمير من (بها) إلى الوجوه - مراداً بها الذوات - شبه استخدام . ولم أر من نبه عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٦] (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)

[٢٧] (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)

[٢٨] (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ)

[٢٩] (وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)

[٣٠] (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)

« كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ » أى بلغت النفس أعلى الصدر . وإضممارها ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة السياق عليها ، كقول حاتم :

أماوى مَا يُغْنِي الرَّاهِ عَنْ الْفَتَى إِذَا حُشِرَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
قال الرازى : يكفى ببلوغ النفس التراقى ، عن القرب من الموت ، ومنه قول دريد
ابن الصمة :

ورب عزيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقى
ونظيره قوله تعالى (١) : (حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ) . « وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ » قال (٢)
ابن جرير : أى وقال أهله : مَنْ ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به ، وطلبوا له الأطباء والمداوين ،
فلم يغنوا عنه من أمر الله الذى قد نزل به شيئاً . أى فلاستفهام بمعنى الطلب لراقٍ أو طبيب .
وجوز كونه بمعنى الإنكار ، بأساً من أن يقدر أحد على نفعه برقية أو عوذة .
لطيفة .

قال الواحدى : إن إظهار النون عند حروف الفم الحن . فلايجوز إظهار نون (مَنْ) فى
قوله (مَنْ رَاقٍ) . وروى حفص عن عاصم إظهار النون فى قوله (مَنْ رَاقٍ) و (بَلْ رَانَ)
قال أبو على الفارسى : ولا أعرف وجه ذلك . قال الواحدى : والوجه أن يقال قصد الوقف
على (مَنْ) و (بَلْ) فأظهرهما . ثم ابتدأ بما بعدها . وهذا غير مرضى من القراءة . انتهى
نقله الرازى .

« وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » أى وأيقن الذى قد نزل ذلك به ، أنه فراق الدنيا والأهل والمال .
« وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » أى التوت ساقه بساقه ، فلا يقدر على تحريكها . وقيل : هما
ساقاه ، إذا التفتا فى الكفن . وقيل : الساق عبارة عن الشدة ، كما مر فى سورة (القلم) .
والتعريف للعهد أيضاً .

قال الشهاب : فإن قلت : ما مرّ هو الكشف عن الساق ، ووجهه ظاهر ، لأن المصاب
يكشف عن ساقه ، فكيف ينزل هذا عليه ؟
قلت : الأمر كما ذكرت ، لكنه شاع فيه ، ففهم ذلك من الساق وحده ، حتى صار

(١) [٥٦ / الواقعة / ٨٣] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٩٤ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

عبارة عن كل أمر فطيع - كما أشار إليه الراغب - انتهى .
 «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ» أى سوقه إلى حكمه تعالى .
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣١] (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ)

[٣٢] (وَلَا كَانَ كَذِبًا وَتَوَلَّىٰ)

[٣٣] (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ)

[٣٤] (أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ)

[٣٥] (ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ)

[٣٦] (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)

[٣٧] (أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَىٰ)

[٣٨] (ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ)

[٣٩] (فَجَعَلَ مِنْهُ الْزُّوجَيْنِ أَلَذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ)

[٤٠] (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ)

« فَلَا صَدَقَ » أى بالدين والكتاب . أو صدق ماله ، أى ما زكاه « وَلَا صَلَّىٰ » أى الصلاة التى هى رأس العبادات ، التى سها عنها . « وَلَا كَانَ كَذِبًا » أى بدل التصديق « وَتَوَلَّىٰ » أى بدل الصلاة التى بها كمال التوجه إلى الله تعالى « ثُمَّ » أى مع هذه التقصيرات فى جنب الله تعالى « ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ » أى يتبختر فى مشيته . وأصله (يتمطط) أى يتمدد ، لأن المتبختر يعد خطاه .

تنبيهات

الأول - الضمير فى الآيات للإنسان المتقدم فى قوله تعالى (أَيْحْسَبُ الْإِنْسَانُ) .

الثاني - قال الرازي : إنه تعالى شرح كيفية عمله فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه ، وفيما يتعلق بدنياء . أما ما يتعلق بأصول الدين فهو أنه ماصدق بالدين ، ولكن كذب به . وأما ما يتعلق بفروع الدين فهو أنه ماصلي ، ولكنه تولى ، وأعرض . وأما ما يتعلق بدنياء ، فهو أنه ذهب إلى أهله يتمطى ويختال في مشيته .

الثالث - دلت الآية على أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة ، كما يستحقهما بترك الإيمان .

الرابع - قال الرازي : قال أهل العربية : (لا) ههنا في موضع (لم) فقوله : (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى) أى لم يصدق ولم يصل ، وهو كقوله ^(١) (فَلَا أُفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) أى لم يفتحهم . وكذلك ما روى ^(٢) : أرأيت من لا أكل ولا شرب ولا استهل . قال الكسائي : لم أر العرب قالت في مثل هذا كلمة وحدها ، حتى تتبعها بأخرى ، إما مصرحاً بها ، أو مقدرأ . أما المصرح ، فلا يقولون لا عبد الله خارج ، حتى يقولوا ولا فلان ، ولا يقولون مررت برجل لا يحسن ، حتى يقولوا ولا يجمل . وأما المقدرفهو كقوله (فَلَا أُفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) ثم اعترض الكلام فقال (وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكْ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَمْ) وكان التقدير : لافك رقبة ولا أطعم مسكيناً ، فاكتمى به مرة واحدة . ومنهم من قال : التقدير في قوله (فَلَا أُفْتَحَمَ) أى أفلا افتحهم ، وهلا افتحهم . انتهى « أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى » أى ويل

(١) [٩٠ / البلد / ١١] . (٢) يشير إلى الحديث الذى أخرجه البخارى في صحيحه في :

٧٦ - كتاب الطب ، ٤٦ - باب الكهانة ، حديث رقم ٢٢٦٩ ، عن أبى هريرة ، ونصه : أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا ، فرمت إحداها الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهى حامل ، ففتات ولدها الذى في بطنها . فاخصموا إلى النبي ﷺ فقضى أن دية ما في بطنها غرة : عبد أو أمة . فقال ولئى المرأة التى غرمت : كيف أغرم يارسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ؟ فقال النبي ﷺ : إنما هذا من إخوان الكهّان .

لك مرة بعد مرة . دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه ولاء متكرراً متضاعفاً .
 وقيل : المعنى بُعْداً لك ، فبعداً في أمر دنياك ، وبعداً لك فبعداً في أمر أخراك - حكاية
 الرازي عن القاضي - ثم قال : قال الففال : هذا يحتمل وجوهاً :
أحدها - أنه وعيد مبتدأ من الله للكافر .

والثاني - أنه شيء قاله النبي ﷺ لعدوه - يعني أبا جهل - فاستنكره عدو الله لعزته
 عند نفسه ، فأنزل الله تعالى مثل ذلك .

والثالث - أن يكون ذلك أمراً من الله لنبيه بأن يقولها لعدو الله ، فيكون المعنى : ثم
 ذهب إلى أهله يتمطى ، فقل له يا محمد : أولى لك فأولى ، أى احذر ، فقد قرب منك ما لا قبل
 لك به من المكروه . انتهى والأظهر هو الأول - .
 لطيفة :

تفسير (أَوَّلَى لَكَ) بـ (ويل لك) قال الشهاب : هو محصل معناه المراد منه ، فإنه مثله ،
 فيرد للدعاء عليه ، أو للتهديد والوعيد .

وعن الأصمى أنها تكون للتحسر على أمر فات .
 هذا هو المعنى المراد بها . وأما الكلام في لفظها فتقيل : هو فعل ماض دعائي من (الولى)
 واللام مزيدة . أى أولاك الله ما تكرهه . أو غير مزيدة ، أى أدنى الهلاك لك . وقريب منه
 قول الأصمى : إن معناه قاربه ما يهلكه أن ينزل به . واستحسنه ثعلب .

وقيل : إنه اسم وزنه (أفعل) من الويل ، فقلب . وقيل فعلى ، ولذا لم ينون . ومعناه
 ما ذكر ، وألفه للإلحاق لا للتأنيث . وعلى الاسمية هو مبتدأ ، و (لك) الخبر . وقيل : إنه
 اسم فعل مبني ، ومعناه وَلَيْكَ شر بعد شر .

ونقل الزمخشري عن أبي علي أنه علم لمعنى الويل ، وهو غير منصرف للعلمية ووزن
 الفعل . وقيل عليه : إن الويل غير متصرف ، ومثل (يوم أيوم) غير منقاس ، ولا يفرد عن
 الموصوف . وادعاء القلب من غير دليل ، لا يسمع ، وعلم الجنس خارج عن القياس . فاذا كرر بعيد
 من وجوه عدة . وقيل : الأحسن أنه أفعل تفضيل خبر لمبتدأ يقدر كإليق بمقامه . فالتقدير هنا :

النار أولى لك . يعنى : أنت أحق بها ، وأهل لها . انتهى .
« أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى » أى : هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى ،
مع أنه الإنسان الذى أودع العقل وعلم البيان ، وغرز فى طبعه أن يعيش مجتمعا ، وخص من
المواهب ما فضل على غيره . فن تمام الإحسان إليه ، إنقاذه من حيرته ، وإعلامه بسبيل هدايته ،
وأن لا يترك خابطاً فى متائمه جهالته ، وقد كان ذلك بفضل الله ونعمته ، كما أشار لذلك بقوله :
« أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نُفُوءٌ مِّنْ مَّيْنٍ يُمْنَى » أى يصب فى الرحم .
« ثُمَّ كَانَ عِلَاقَةً » أى دماً « فَخَلَقَ » أى قدر أعضائه « فَسَوَّى » أى سوى تلك
الأعضاء لأعمالها وعدلها .

« فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ » أى الصنفين « الذَّكَرَ وَالْأُنثَى » أى لبقاء نوعه ، يعمر
الدنيا إلى الأجل الذى كتبه وقدره .
« أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ » أى فيوجد لهم بعد مماتهم لعارة الآخرة .
وقد روى أن النبى ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحانك ، فبلى - رواه أبو داود عن رجل
من الصحابة . ورواه أيضاً عن أبى هريرة بلفظ : من قرأ (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ) فأنتهى إلى
(أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) فليقل : بلى . ورواه الإمام أحمد
والترمذى أيضاً - والله أعلم - .

بحمده تعالى وعونه ، كمل هذا الجزء فى أوائل محرم سنة ١٣٢٧

بمزلنا فى زقاق الكتبي ، فى خط قصر حجاج

ظاهر باب الجابية . على يد جامعه وكتابه

الحقير محمد جمال الدين القاسمى

الدمشقى

تم الجزء السادس عشر ، وبليه إن شاء الله ، الجزء السابع عشر ،

وفيه تفسير مابق من سور الكتاب الكريم

فهرس السور المفصرة فى هذا الجزء

رقم الصفحة	رقم السورة واسمها	رقم الصفحة	رقم السورة واسمها
٥٨٥١	٦٦ - سورة التجرىم	٥٦٤٥	٥٦ - سورة الواقعة
٥٨٧٤	٦٧ - سورة الملك	٥٦٧٠	٥٧ - سورة الحديد
٥٨٩١	٦٨ - سورة نّ	٥٧٠٤	٥٨ - سورة المجادلة
٥٩١٠	٦٩ - سورة الحاقة	٥٧٣٣	٥٩ - سورة الحشر
٥٩٢٣	٧٠ - سورة المعارج	٥٧٥٧	٦٠ - سورة المتحنة
٥٩٣٢	٧١ - سورة نوح	٥٧٨٠	٦١ - سورة الصف
٥٩٤٢	٧٢ - سورة الجن	٥٧٩٦	٦٢ - سورة الجمعة
٥٩٥٧	٧٣ - سورة الزّمل	٥٨٠٦	٦٣ - سورة المنافقون
٥٩٦٩	٧٤ - سورة المدثر	٥٨١٧	٦٤ - سورة التغابن
٥٩٨٧	٧٥ - سورة القيامة	٥٨٢٨	٦٥ - سورة الطلاق